معايير الجودة ودورها في تطوير الجامعات العراقية

أ.م.د. عباس علي محمد الحسيني
كلية القانون – جامعة كربلاء

المقدمة

لاشك في ان التعليم العالي يعد العنصر الأساس في بناء أي مجتمع وعلى النحو الذي يحقق طموحات أفراده ويحقق أهدافهم ويسهم في سد احتياجات سوق العمل من مخرجاته وبالنتيجة تشجيع التنمية الاقتصادية للمجتمع ، ولكي تصل الجامعات إلى مستواها المطلوب لابد لها من إمكانية وقدرة في أنتاج أدوات تساعد في تلبية حاجات المجتمع ، ومن أكتسب مفهوم الجودة اهتماما كبيراً في نطاق التعليم العالي وبدأت الجامعات تطبق معايير دولية لتحقيق ذلك الغرض. وقد تزايد الاهتمام بنظام الجودة في منتصف السبعينات من القرن العشرين بسبب التغييرات الاقتصادية التي صاحبت التطورات العلمية والتكنولوجية ورغبة من الجامعات في تقديم خدماتها وفقاً لمعايير تضمن لها التميز والتقدم .

مشكلة البحث

تواجه الجامعات وهي في طريقها إلى تبني نظام الجودة العديد من الصعاب والمعوقات بعضها يرجع إلى أسباب داخلية تتعلق بعمر الجامعة وإدارتها ونوعية طلبتها ومدى مواظبتهم على الدوام ومنها أسباب خارجية كتلك التي ترجع إلى سياسة المجتمع وفلسفته التي من خلالها تحدد نظرته إلى التعليم العالي ومقدار الموارد المالية اللازمة لإنجاز نشاطاتها الجامعية ولهذا فإن أهمية الجودة تتمثل في كونها أحدى الأسبقيات التي ترتكز عليها الجامعات من أجل تقدمها .

أهداف البحث

تحدد أهداف هذه الدراسة في تحديد مشكلات قياس الجودة في التعليم العالي وتقديم بعض التوصيات التي تهم في رفعها . كما تبين ما هو الدور التي تصطلح به الجامعات لتحقيق أهداف الجودة الشاملة وتحديد بعض معاييرها .

تعريف الجودة

لقد عرفت الجودة بتعريفات متعددة منها عرفت بإنها مطابقة المتطلبات أو ملائمة الاستخدام أو إنها الوفاء بحاجات المستفيد حالياً ومستقبلاً وفي مجال الجامعات تعرف بأنها مجموعة الجهود المبذولة من قبل العاملين في مجال التعليم لرفع وتحسين وحدة المنتج التعليمي وبما يتناسب مع رغبات المستفيد أو هي مجمل السمات والخصائص التي تتعلق بالخدمة التعليمية والتي تستطيع ان تفي باحتياجات الطلبة .

ويمكن النظر إلى الجودة من منظورين أساسيين وهما منظور المستهلك ومنظور المنتج، فالجودة من منظور المستهلك تعني موائمة المنتوج سواء كان سلعة أو خدمة للاستخدام وبقدرة هذا المنتوج على تحقيق الغرض الأساسي الذي بسببه تم شراؤه .

أما الجودة من منظور المنتج فهي تعني مطابقة المواصفات ولايمكن للجامعة ان تنجح في تقديم خدماتها التعليمية الفاعلة إلا من خلال تبني مدخل متكامل في جودة التعليم .

العوامل التي تسهم في بناء جودة الجامعات

هناك جملة عوامل تلعب دوراً كبيراً في تعزيز وتطوير نظام الجودة في التعليم العالي تتمثل في بناء قاعدة بيانات تستجيب لكل احتياجات نظام الجودة وتكون مليئة بالمعلومات الفنية ومن ثم تحديد وتشخيص ما يحتاج إليه المجتمع من خدمات تعليمية تقدمها الجامعة، ومن ثم مد جسور التعاون مع مؤسساته من أجل تقديم هذه الخدمات بمستواها الملائم. ويجب ان يقترن ذلك كله وضع صياغة منهجية للتعليم والتي تلائم حركة تطور المجتمع.

أدوات الجودة في الجامعة

هناك أدوات متعددة يمكن استعمالها لوضع نظام الجودة في الجامعة ومنها جمع البيانات المتعلقة بالطلبة وتحليلها وتقويمها وفق برنامج البحث المؤسسي والوقوف على مستوى خبراتهم ومدى رضاهم على الخدمات التعليمية للكلية والتعرف على حاجة المجتمع وترجمتها عملياً لمخرجات الجامعة .

معايير الجودة

لعل من المناسب الإشارة إلى جملة مقاييس لتحديد مستوى الجودة في عمل الجامعات وان لم يكن هناك أتفاق بين الباحثين الإصلاح التعليمي ومقدار فاعلية إدارة الجامعة بخصوصها. ويمكن إرجاعها إلى إدارة الجامعة ومدى فاعليتها ومستوى فاعلية الهيئة التدريسية وتطورهم ونتاجاتهم العلمية ونسبتهم إلى الطلبة وعلى النحو الذي يحدد كفايتهم لتغطية المتطلبات التعليمة ومدى تفرغهم للعمل الجامعي في الكلية.

ومن المقاييس ما تعود الى الطلبة من حيث نوع المدخلات الى الجامعة ومخرجاتها ومدى قدرتهم على ممارسة الوظائف المنوطة بهم والتي لها علاقة

باختصاصهم، والآليات المحددة في انتقائهم بالنسبة للكليات التي تعتمد نظام القبول المباشر، ومستواهم عند ادائهم لامتحان القبول الذي قد يؤدونه أحياناً قبل قبولهم النهائي في الجامعة . وتحديد نسبة الطلبة الذين تمكنوا من الحصول على شهادات عليا ، والوقوف على مستوى اندفاعهم واستعدادهم للتعليم .

وهناك أيضاً مقياس الكتاب المنهجي ومدى درجة الاعتماد عليه في الكليات ككتاب أساسي أو كتاب مساعد.

معوقات الجودة

يمكن ان نحدد بعض الصعاب والمعوقات التي تواجه تطبيق نظام الجودة ، منها ان الإدارة العليا قد لا تتبنى موضوع نظام الجودة بسبب عدم أو ضعف اقتناعها بجدواها وعدم وجود تخصيصات مالية كافية.

وقد يكون السبب في مقاييس الجودة لكونها غير واضحة أو يصعب تطبيقها في بعض الجامعات لعدم انسجامها مع هيكليتها.

التوصيات

يتضح ان نظام الجودة يتم وفق معايير من الاعتماد تمارسه هيئة خارجية عن الجامعة ويمكن تقديم أهم التوصيات والمتمثلة بما يأتي:

الالتزام بمعايير الاعتماد العام والخاص بغية تطور عمل الجامعات والمحافظة على هذا التطور وتعزيزه.

وضع آليات في تحديد انتقاء الطلبة بما يحقق انسجام بين كفاءاتهم ومقدراتهم مع الكلية التي يدرسون فيها.